مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية

المجلد :7 / العدد :1

ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x

تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

أساليب التغيير والرقي بالفعل الاجتماعي قراءة في فكر مالك بن نبي

د. شويشي زهية
جامعة سطيف2

-ملخص:

التغير سمة تطبع الحياة عامة، والحياة الاجتماعية بصفة خاصة، ما يؤدي الى التغيير في البناء العام للمجتمع، كما أن التغير عامل من عوامل استمرار المجتمعات بحكم أنه يؤدي أحيانا الى تحقيق الأفضل فيلغي ما قبله من أمور لم تعد صالحة بحكم تغير الظروف وتغير الزمان، وقد اختلفت نظرة المفكرين في مسألة عملية التغير الاجتماعي باختلاف ايديولوجيتهم واتجاهاتهم مما أوجد لدى كل واحد منهم نظرة خاصة لهذه العملية،ومن المفكرين الذين اهتموا بعملية التغيير الاجتماعي المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي عني كثيرا بقضايا التغيير في المجتمعات وأولاها عناية خاصة في المجتمع الإسلامي.فكيف كانت نظرته الى التغيير الإجتماعي؟ وكيف حدد عوامله؟ وما هي النتائج التي توقعها جراء ذلك؟

-الكلمات المفتاحية :التغير،الحياة الاجتماعية،مالك بن نبي

Abstract:

Change is a characteristic of life in general, and of social life in particular, which leads to change in the general structure of society. Change is also a factor in the continuity of societies because it sometimes leads to the best. The thinkers differed in the question of the process of social change according to their different ideologies and trends, each of which created a special view of this process. Among the intellectuals who were interested in the process of social change was the Algerian intellectual Malik Ben Nabi, who devoted great importance to the issues of change in societies. The Islamic. How was his view of social change? How do you determine its factors? What results do you expect?

Key words : Change,social life,Malik Ben Nabi

تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

انطلق مالك بن نبي في نظرته للتغير الاجتماعي من قناعة أساسية مفادها أن التغير الاجتماعي الحقيقي هو التغير الذي يتطلب عناصر أساسية هي "الأشياء، الأشخاص، والأفكار" مضافا إليها ما اسماه شبكة العلاقات الاجتماعية التي هي في الأصل نتاج تفاعل العناصر المذكورة، وقد تناول مالك بن نبي تلك العناصر بالتحليل من خلال عملية الحركة وفي إطار الحياة الاجتماعية للإنسان،فقد تناول الأفكار بطريقة جديدة ودرسها بوصفها قيما ومبادئ يجب أن تستخدم، وتوظف لتنشيط حركة التغير، وانصب اهتمامه بالدرجة الأولى على مدى حركية الفكرة وفاعليتها وتأثيراتها.

كذلك الحال في تناوله لعنصر الأشخاص حيث ركز دراسته في إطار الحركة المطلوبة والتي تستوجبها عملية التغيير الاجتماعي،من خلال دراسة مشاكل الفرد والسلوك في المجتمع والتربية الاجتماعية،وظواهر المجتمع المختلفة واعتناء بن نبي بالفرد انصب على بعديه السلوكي والتربوي، وجل اهتمامه كان على الجانب الحركي من الفرد، مؤكدا على ضرورة توجيهه من أجل تحقيق الحركة التغييرية ودفعها إلى الأمام، وبالنظر الى مؤلفات بن نبي نجد أن مفهوم التغير الاجتماعي يترادف مع مصطلحات النهضة، اليقظة، التطور، النمو والإصلاح حيث أن نظرته للتغير الاجتماعي تتحدد بالنظر الى الدورة الحضارية بمراحلها الثلاث" مرحلة سيادة الروح التي تعتبر بداية الصعود،ومرحلة سيادة الغريزة، وهي مرحلة الأفول والإنحدار حيث يرى أن المنحنى البياني في حركة التغيير يبدأ من نقطة الميلاد في خط صاعد، ثم نقطة الأفول في خط نازل.

أما الطور الإنتقالي الذي يتوسط هذين الخطين هو الأوج، فهو الأفول النازل هو عكس طور النهوض الصاعد وبين الطورين يوجد بالضرورة اكتمال معين هو انتشار الحضارة وتوسعها،مؤكدا أن سلوك الفرد وتطوره النفسي يتحددان في إطار علاقته بالمرحلة الحضارية التي يعيشها مجتمعه ذلك ان «كل القيم النفسية-الزمنية التي تميز مستوى حضارة ما في وقت معين ليست إلا الترجمة التاريخية لهذه

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7/ العدد :1
ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

العلاقة العضوية». وهذا ما يدفعنا الى القول بأن كل مراحل التغير الاجتماعي المختلفة في المجتمع تطبع خصائصها في شخصية الفرد وسلوك المجتمع المختلفة.

هذا يعني أن الأفكار والسلوك،والثقافة والقيم والعادات تبقى محددة لدى الفرد والمجتمع بحدود المرحلة التي يمر بها المجتمع، مع ضرورة الإشارة إلى ما يمتلكه الإنسان من إرادة للتغيير كخاصية جوهرية تتصنف بها طبيعة الإنسان وتجعله مسؤولا عن أفعاله وهذا يجعلنا نقف عن نقطة أساسية هي أن الفرد هو أساس التغير الاجتماعي. «وحين يكون تغيير الإنسان هو العامل الأساسي في عملية التغيير فتلك هي نقطة التحول الحقيقي، وهذا كله يستوجب العمل على تغيير الإنسان تغييرا يشمل قيمه وأفكاره وقيمه وسلوكه والعمل على كشف الأسباب المعرقلة للتغيير الاجتماعي لدفع الإرادة والحركة في الواقع والسلوك والمجتمع والثقافة، وهنا تجدر الإشارة الى ما تناط به المهمة التربوية في عملية احداث التغيير الاجتماعي المطلوب ويقر مالك ابن نبي أن التغيير شرط جوهري لكل تحول اجتماعي رشيد.

01-أسس التغير الإجتماعي عند مالك بن نبي:

يضع بن نبي مجموعة من الأسس لدفع وتوجيه عملية التغير الاجتماعي أولها تحديد المشكلات وفق المرحلة الحضارية فلكل مجتمع من المجتمعات ظروفه ومشكلاته التي تختلف عن ظروف ومشكلات غيره من المجتمعات، كما تختلف طبيعة المشكلات باختلاف أطوار التغير في مجتمع واحد، والمجتمعات البشرية في رأي مالك بن نبي لا تعاني من مشكلة واحدة، بل من مشاكل متنوعة تختلف باختلاف المجتمعات، والمرحلة التاريخية والاجتماعية التي يعيشها كل مجتمع.

على ضوء هذا فإن حل المشكلات يجب أن يتبلور في ضوء ظروف ومعطيات المرحلة الحضارية والاجتماعية، مما يستوجب الأخذ في الاعتبار الإحاطة بالمعطيات والظروف الاجتماعية للمجتمع، «تحتم في حل مشكلاتنا الاجتماعية أن ننظر مكاننا من دورة التاريخ، وأن ندرك أوضاعنا وما يعتريهامن عوامل الانحطاط، وما تنطوي عليه من أسباب التقدم، وعليه لا يجب لأحد أنيصنع الحلول والمناهج مغفلا مكان أمته ومركزها، بل يجب أن تنسج أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1
ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

المرحلة التي فيها أمته، أما أن يستورد حلولا من الشرق أو الغرب فإن ذلك تضييع للجهد، ومضاعفة للداء، إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار»

النظر إلى المجتمع ومشكلاته يتطلب تحديد حاجة المجتمع للتربية كأساس لعملية التغيير الاجتماعي تسليما بأن الإنسان متى فقد روح التغيير والقيم الفعالة لإرادة التغيير فإن المشكلة تصبح فيه هو وبالتالي تنبع من داخله «التي تحتاج إلى إعادة صياغة وتعديل في الإرادة والقيم وبث لروح التغيير» وأي عملية تهدف إلى تحقيق تغير اجتماعي يجب أن تكون في ضوء ما تتطلبه المرحلة التي يعيشها المجتمع «لأن علاج أية مشكلة مرتبط بعوامل زمنية ونفسية (مادية وروحية) ناتجة عن فكرة معينة تؤرخ من ميلادها عمليات التطور الاجتماعي»ذلك أنه لكل مرحلة انعكاساتها وإشكالاتها التي تختلف، بالضرورة من مرحلة حضارية إلى أخرى في إطار الدورة التاريخية وذلك يحتم البحث عن حلول لهذه المشكلات في ضوء ظروف المجتمع وحاجاته ومرحلته.

1-1-تغيير البيئة العاطلة:

هناك علاقة وطيدة بين الفرد والوسط الاجتماعي الذي يتحرك بداخله، هذا الوسط بكل ما يحمله من معطيات ومؤثرات إيجابية كانت أو سلبية تنعكس فكريا ووجدانيا على تكوين الفرد وشخصيته، خلال تفاعله المتواصل مع الأفراد الآخرين بحكم تواجده في وسط اجتماعي يضمه إطار تفاعلات وعلاقات مع أفراد آخرين يتأثر بهم ويؤثر فيهم، مع العلم أن كل الأشياء المحيطة بالفرد في مجتمعه تؤثر فيه، وتزرع فيه قيما واتجاهات محددة.

بإدراك مالك بن نبي لدور الوسط في التأثير على سلوكيات الفرد جعل العمل على تغيير البيئة العاطلة وتكوين الوسط المربي من أسس التغيير الإجتماعي، لأنه كلما كان الوسط راكدا كلما كانت الحاجة إلى التغيير تقتضي إنشاء محيط جديد، وفي ذلك يقول «حين يكون المجتمع في حالة ركود وكساد فإن الوضع النفسي للفرد يسوده الشعور بالإستقرار، ولا يبذل أية محاولة لتغيير الوضع من حوله، إذ تسير الحوادث من دون تدخل من إرادته، وفي حالة حدوث حركة في المجتمع لتغيير

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1
ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

الوضع السائد فإن موقف الفرد من الحوادث والأشياء يتغير فالفرد الذي كان من قبل مكبلا من كساده. فإنه يشعر فجأة بانفجار ذاتي في نفسه، انفجارا يطلق طاقاته المكبلة ...هذه الشروط هي الشروط النفسية الاجتماعية التي تحرك المجتمعات، وتفرض على الأفراد التكيف والانسجام مع قانون تلك الحركة، بما لديهم من المؤهلات المكتسبة التي تكون ما أسماه بالمعادلة الاجتماعية التي تحدد فعاليتهم أمام المشكلات.

ذلك أن الفرد يتحرر من الكساد ويجد الفرصة مواتية لاستخدام ما يملكه من قدرات وقوى وبذلك يستعيد الثقة بالنفس، وفي قدراته لأنه يتحرر نفسيا من الشعور بعدم القدرة على العمل، وهذا ما يجعل المجتمع يد خل في نوع من الحركة التي تسمح لأفراده بالتكيف والانسجام مع متطلبات المواقف باستخدامهم لما يمتلكونه من مؤهلات بصورة إيجابية وفعالة في حل المشكلات على اختلافها،وعلى هذا الأساس أعطى مالك بن نبي أهمية كبيرة لتغيير البيئة والوسط الإجتماعي العام، إيمانا منه بأن المجتمع بكل قواه المختلفة هو أقوى أداة للتربية التغييرية، والتعديل السلوكي العام «نحن نربي بتغيير الظروف التي يعيش فيها الفرد، كما أننا نغير البيئة عن طريق تغيير الفرد ضمن إدراك العلاقة العضوية بين الفرد والمجال الثقافي»بمعنى أن عملية التربية تقوم أساسا على تغيير الظروف التي تحيط بالفرن في الوسط الاجتماعي بصورة عامة، مع تغيير البيئة العامة عن طريق محاولة تغيير الفرد بصورة لا تخرج عن العلاقة بين الفرد والمجال الثقافي الذي يعيش فيه، لأن هذه العلاقة هي التي تعكس مدى إيجابية العمل التربوي.

1-2-التغيير يتطلب تكوين الإطار الإجتماعي:

تكوين الإطار الاجتماعي أو تعديله مطلب أساسي في عملية التغير الإجتماعي العام، كأساس لتربية ونمو وتقدم الفرد، والتغير المقصود هنا لا ينحصر في تغيير الأطر العامة المحيطة به فحسب، لأن ذلك الواقع يتطلب عملا تربويا كاملا يحوط الإنسان ذاته «الإنسان الذي يعيش في عهد ما قبل الحضارة أي الإنسان الذي يجب وضعه أمام ضرورات نفسية قبل كل شيء، تلك الضرورات التي تتطلب تغيير

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x

تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

المعادلة الشخصية، لأن الإنسان هو الأساس في عملية التغيير الإجتماعي، وكل عملية تغييرية تستوجب الانطلاق من وضع هذا الإنسان أمام صورة واضحة تشمل كل الظروف الواقعية للمرحلة التي يحياها، وهذا يتأتى عن طريق إيجاد وتوفير الضرورات النفسية اللازمة للإنسان قبل فعل أي شيء.

على هذا فإن تغيير الوسط الاجتماعي العام جدير في رأي مالك بن نبي بأن يحدث أخطر التحويلات التربوية،وهذا ما يعطي الوسط الاجتماعي أهمية كبيرة لأنه بداخله يعيش الإنسان محاطا بجملة من المعطيات الاجتماعية التي تحدث بدورها تغيرا وتطورا في حياة هذا الفرد وميولاته وأفعاله.تجاوز المعامل الإستعماري: لم يغفل (ابن نبي) عن مساعي الاستعمار في كامل العالم الإسلامي لإدخال عوامل سلبية في تكوين البيئة الاجتماعية تنعكس على التربية من خلال التنشئة الاجتماعية على الفرد وتجدر الإشارة هنا إلى ما أصطلح عليه مالك بن نبي المعامل الاستعماري، والذي يقصد به عمل المستعمر على الحط من قيمة الفرد وإضعاف موقفه إزاء نفسه «وهذا المعامل يؤثر في حياة الفرد في جميع أطوارها، يؤثر فيه وهو طفل اذلا يمده المجتمع بما يقوي جسمه وينمي فكره، أو يهيء له مدرسة أو توجيها.

هذا إذا كان له أبا و أما إذا فقد منذ نشأته الأب فسيكون الأمر أدهى وأمر، ولسوف يؤول صاغرا إلى ماسح أحذية أو متسول فإذا كتبت له النجاة من كل هذه النكبات وهيأت له الأسباب ليجد مقعدا في مدرسة فكم من العراقيل التي سوف توضع في طريقه،وقد عمل الاستعمار على تثبيت هذا العامل في البيئة الاجتماعية ليكون معرقلا للنمو والتطور الشخصي والاجتماعي للفرد، وهذا كله خوفا من تأخذ مواهب الفرد مجراها الطبيعي نحو النبوغ، لذلك يتوجب العمل على التغيير الاجتماعي بدفع الفرد للتخلص من العقبات والتحرر من الشعور النقص والإحباط وذلك عن طريق إقناعه بقدراته وإمكاناته التي تخول له التحكم في أعماله وبالتالي في مصيره، وهذه نقطة أساسية لأنه إذا تمكنا من تجاوز هذا المعامل الاستعماري تمكنا من التحرر من الشعور بالنقص الذي يعيق حركاتنا وأفعالنا ويجعلنا دوما نركن إلى الخمول والجمود لأننا لا نمتلك الثقة اللازمة بأنفسنا.

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x

تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

1-3-التغير يتطلب تطوير الوسط الثقافي:

ثمة علاقة جدلية أكيدة بين تغيير الإنسان وتغيير الوسط الثقافي والاجتماعي وكل تغير خارجي في مظهر الحياة، وفي نسق وأشكال هذا المظهر يؤدي حتما إلى تغيير داخلي في نفوس الأفراد وللوسط الثقافي والاجتماعي دور كبير في تحديد درجة نمو الفرد وتقدمه وفي ذلك يقول مالك بن نبي"حظ الفرد مقدر إلى ما قبل مولده، تقدره أوضاع خارجة عن نطاقه الشخصي أو العائلي تكون في نفس الوقت حتمية اجتماعية لأن الوسط الاجتماعي بما يتضمنه من ظروف مختلفة يتدخل إلى حد بعيد في تحديد قدرات الأفراد وبلورتها هذا إن كانت هذه الظروف إيجابية وبالمقابل قد تطمس هذه القدرات وتميتها في نفس صاحبها، والدليل على ذلك أن الفرد مثلا في المجتمع الغربي المتقدم تكنولوجيا ينبغ في شتى مجالات العلوم بما يجده من مساعدة ومن وسائل تساعده على بلورة أفكاره وترجمتها، كما تثير فيه أفكارا أخرى، في حين الفرد في العالم الثالث لا يجد الفرصة السانحة للتعبير عن إمكاناته لأن الوسائل التي يحتاجها تكون منعدمة أو غير كافية، فيموت فيه حب العمل والإبتكار، ويركن إلى الخمول وكره العمل، وفي الوقت ذاته لو أنه قدر له أن يخرج من مجتمعه إلى مجتمع أرقى ، فإنه يستطيع فيه فعل الكثير ، خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار كون «الفرد مقيدا إلى حد كبير بالظروف التاريخية والجغرافية التي تفرض شروط حياته قبل أن تشرطها مواهبه الشخصية»وهذا يدعم قولنا إن المرحلة التي يعيش فيها المجتمع وبيئته الطبيعية لها دخل كبير في فرض حدود لنشاطات أفراده.

ففي الوقت الذي تجد أفراد مجتمع معين يفكرون في استيطان كواكب أخرى غير الأرض، قد تجد أفراد مجتمع آخر لا يسمعون حتى عن هذه الكواكب ولاعن كيفية الوصول إليها، وهذا ما يشهد عليه واقع العديد من المجتمعات خاصة منها النامية الشيء الذي يؤكد أن ما يحوط الفرد في الإطار الاجتماعي له دور في تحديد معالم شخصيته، وعلى هذا فأثر المجتمع يتجاوز ما يمتلكه الفرد من إمكانات ومواهب واستعدادات فطرية التي يتطلب إبرازها للمساهمة في ترقية

الشخصية وهذا أمر يتطلب الحرص على إحاطة الفرد بجو يكفل له استخدام ما يمتلكه من قدرات ومواهب بأحسن صورة.

التغير الاجتماعي ينعكس في مظاهر الأفراد وفعاليتهم التي تعبر عن التحول في وجوه السلوك «فكل جزئية تندرج في علاقاتها السالبة أو الموجبة ضمن تقويم ثقافة معينة، لكن كل جزئية تافهة أو غير مألوفة تشيع داخل البيئة التي يتطور ضمنها الناس جميعا من شأنها أن تدعو الطفل الناشئ إليها، وتقيم معه منذ ميلاده حوارا يظل مستمرا حتى شيخوخته، بحيث ينطبع في كل حد من حدوده على ذاتيته وشخصيته» لأن ما يتعلمه الطفل في طفولته يمتد معه ويبقى محركا لأفعاله وسلوكياته حتى آخر عمره ما لم تبطل صحتها، حيث أن ما يتعلمه الطفل يكون أكثر رسوخا في نفسه ويصير من الصعب تغييره لأن هذه المرحلة من عمر الإنسان تكون بمثابة لبنات أساسية لشخصية الفرد.

02-الفعالية والتغيرالإجتماعي عند مالك ابن نبي:

الفعالية من القيم التي تحتم إيجادها كمقياس لفكر وسلوك الفرد والجماعة، لأنها تعطي للتغيير نشاطه وحركته، وذلك يتطلب توافر المنطق العملي فهو شرط أساسي لوجودها، ولقد اشترط مالك ابن نبي توافر الفعالية كمنطق عملي في كثير من الأنشطة الإنسانية سواء على صعيد الفكر أو العلم أو العمل،لأن الفعالية في نظر مالك بن نبي تشكل قيمة تحتل أول درجة في سلم القيم لأنها كمعني تعطي مضمون الحركية في الفكر والسلوك والأنشطة الإنسانية المختلفة، وبذلك اشترط أيضا في عملية التربية لكي تنتج قيم الفعالية في فكر وسلوك وأنشطة الفرد والجماعة يجب أن ترتكز على:

2-1غرس المبدأ الأخلاقي:

إن الفعالية كقيمة سلوكية يجب أن يرتبط توافرها بتوافر المبدأ الأخلاقي الذي يعد المحرك الأساسي للعمل الإنساني لأن فعالية المجتمعات تزيد وتنقص بقدر ما يزيد فيها تأثير المبدأ الذي يكون الشرط الأساسي لأفعالها، حيث تنظم فيها علاقات الأشخاص تنظيما يناسب المصلحة العامة، ويمكن تأكيد أن الفعالية تكون

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x

تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

أقوى في الوسط الذي ينتج أقوى الدوافع وأقوى التوجهات وأنشط الحركات الاجتماعية مما يسمح لنا بالقول إن وجود الإطار الاجتماعي الثقافي الذي يساعد على إنتاج وتشجيع فعالية الأفراد أمر يجب توافره إلى جانب القدرات الطبيعية من عقل ووجدان، إضافة إلى الدافع الأخلاقي.

2-2 استثمار المواهب والقدرات:

تتوقف الفعالية على مدى استثمار الإنسان لمواهب العقل والوجدان والقدرات العضوية، حيث أن «كل طاقة اجتماعية تصدر حتما من دوافع القلب ومن مبررات وتوجيهات العقل، ومن حركة الأعضاء، فكل نشاط اجتماعي مركب من هذه العناصر، وعلى التربية هنا مساعدة الفرد على استخدام مواهبه وقدراته، وتنميتها وذلك عن طريق التوجيه والتصحيح، لأن شعور الإنسان لا بد أن يتوجه بالعقل ومحدداته حتى تكون حركات الأعضاء وفق ما تقتضيه أحكام العقل.

يرى مالك بن نبي أن الفعالية مرتبطة بمدى إدراك الفرد أن التاريخ اليس أقدارا حتمية لا دخل للإنسان فيها، وهنا يتوجب على التربية التعامل مع حركة التاريخ بإيجابية تسمح بجعل موقفنا من التاريخ وأحداثه موقفا يجعل أعمالنا تتسم بالجانب التطبيقي ولا تنحصر في مجرد تنظيرات وذلك يسمح لنا بالوقوف من الأحداث موقف المدرك لأسبابها وبالتالي يكون في إمكاننا قياسها بمقياس صحيح، فتبلور إراداتنا في شكل نشاطات وأفعال تسمح لنا بالسيطرة عليها بدل الخضوع لها، وبذلك نكون قد أسهمنا إلى حد ما في تغيير الأشياء من حولنا.وهذا عامل أساسي من عوامل التغير الاجتماعي يمنحنا الثقة بقدراتنا، ويمكننا من التكيف مع الواقع ومعطياته وأحداثه بصورة جيدة تسمح لنا بتحديد معار فنا ومداركنا أو بتصويبها، وتبعث في نفوسنا الإرادة والقدرة الى التغيير والعمل الجاد والمتواصل.

3-الأفكار والتغير الإجتماعي عند مالك بن نبي:

تلعب الأفكار أهمية بالغة في عملية التغيير الإجتماعي، فالعمل الفردي أو الاجتماعي لا يمكنه التحرك دون توجيه من الأفكار، فالأفكار هي التدابير المرتقبة التي

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

ينتظر فيها الانعكاس في التجديدات المحسوسة الوجود، وتختبر على هذا الأساس بما تحدثه من تغيرات في النواحي السلوكية والبيئة لأن الأفكار هي التعبير الفعلي عن المستوى العقلي للأفراد والذي يحدد على ضوئه توجههم وبالتالي توجه مجتمعهم، وكل تجديد في المجتمع يكون أساسا تجديدا في الفكر يتحول بفعل الممارسة إلى أمر محسوس في الوجود يكون له بالضرورة أثره في تغير سلوكيات الأفراد.

ينعكس بصورة واضحة في البيئة العامة للمجتمع، سواء في البيئة الاجتماعية أو البيئة الطبيعية والمجتمع في كل مراحله ذو علاقة أساسية بنظام الأفكار، الشيء الذي يجعل هذه الأخيرة ذات أهمية كبيرة في حياة المجتمع إضافة إلى أنها تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية أو بوصفها عوامل معرقلة للنشاط في المجتمع، حيث نجدها «إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الإجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيلا، لأن الفكر متى انحرف عن مراعاة ضرورات المرحلة، وضرورات المجتمع فإنه قد يضر بهذا المجتمع، وقد يوصل الأمور فيه إلى صورة غير مستحسنة، خاصة إذا ما تعارضت الأفكار مع مبادئ المجتمع وطموحات أفراده.

بالمقابل فإن الفكرة السليمة والصحيحة من شأنها أن تدعم عملية التطور والتغير، وبالتالي فهي تدفع بالمجتمع إلى تحقيق المزيد من الأهداف بنجاح، وهذا ما جعل مالك بن نبي يركز بصفة كبيرة على الأفكار كونها ذات فعالية بالغة في تهديد السلوك وتوجيه النشاط وتقدير فعالية الفرد إلى جانب الأشياء والأشخاص منطلقا من فكرة أساسية هي أن نشاط الفكرة وفعاليتها تكون في علاقة بمجموع الشروط النفسية والزمنية التي تطبع المستوى الحضاري في المجتمع

3-1 الأفكار والطفل: يرى مالك بن نبي أن الطفل يستطيع أن ينجح في الحياة الاجتماعية من خلال ثلاث مراحل:

-مرحلة الطور الأمومي حيث لا يعرف الطفل من عالم الأشياء إلا ثدي أمه.

-مرحلة القبل الاجتماعي أين يبدأ الطفل في الدخول إلى عالم الأشياء، وإن كان يجهل كل شيء من عالم الأفكار.

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26/ 2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

-مرحلة الطور الاجتماعي المدرسي وما بعد المدرسي.

حيث يحاول أن يقيم بداخله الصلة بين عالم الأشياء وعالم الأفكار، واكتشافه لعالم الأشخاص سيتم عندما تنمو في نفسه الروابط العاطفية ثم الروابط الإجتماعية، وهكذا فابتداء من الوقت الذي يتمكن فيه من إقامة روابط شخصية مع مفاهيم تجريبية سنراه يدخل في عالم الأفكار، ويعتبر مالك بن نبي بلوغ الطفل عامه السادس معناه دخوله عالم الأشخاص في أول تجربة خارج نطاق أسرته. وفي هذه المرحلة الحساسة تبرز أهمية المراقبة التربوية من طرف الآباء والمعلمين، خاصة في حالة فشل الطفل في مواجهة المشاكل يؤدي إلى عرقلة تطوره النفسي، ويعتبر من المسابقة والثامنة خطوة فعالة وفاصلة في الانتقال من عالم الأشياء إلى عالم الأفكار اين يتمكن الطفل من تكوين روابط شخصية مع مفاهيم تجريدية،حيث يضع قدمه في عالم الأفكار دون أن يعتمد على أحد.

هذه الخطوة ذات أهمية كبيرة في تأصيل الطفل في محيطه الثقافي وذلك يكشف له أبعادا جديدة، لان حضور الفكرة داخل الفرد من شأنه أن يحدث تغييرا في شخصيته يتجاوز عملية الاندماج والتنشئة الاجتماعية إلى المظهر الخارجي من الفرد، والمجتمعات يمكنها أن تربي الطفل فكريا مستخدمة كل الوسائل والقنوات التربوية، وإن لم تستثمر ذلك فإن الطفل معرضا لحالة التخلف، وقد تطول المرحلة ما قبل الاجتماعية لديه، لأن الحياة بالنسبة للطفل في إطار اجتماعي متخلف من شأنها أن تؤثر عليه، ويظهر ذلك في شكل قصور في عالم الأفكار حيث ينزع إلى الشيئية، والنظر إلى الأمور بمنطق الشيء وليس بمنطق الفكرة، وهذا المنطق" أي منطق الشيء" له انعكاسات تربوية تعيق فعالية الإنسان نحو التغير والتقدم الاجتماعي.

4- الأفكار وعملية التكيف مبدأ التغير:

إن قدرة الأفكار على التكيف في المجتمعات ليست واحدة، وعلى ذلك فإن درجة تأثيرها على سلوك الأفراد تختلف من مجتمع إلى آخر، حيث يؤكد مالك بن

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

نبيبأن قدرة الأفكار على التكيف تختلف أيضا، وتتفاوت بين مرحلة اجتماعية وأخرى حتى في المجتمع الواحد، إضافة إلى أنها تختلف أيضا باختلاف الأصول الثقافية من مجتمع إلى آخر إذ أن التكيف بالنسبة الفكرة معينة في مجتمع تسوده القيم المادية يختلف عنه في مجتمع تسوده القيم الأخلاقية، وقد أثار مالك بن نبي فكرة أساسية عندما نبه إلى وجود أفكار ميتة وأفكار مميتة، في سياق الاختلاف في عملية استقطاب الأفكار الجديدة أو أفكار من مجتمعات أخرى، حيث برز جدال حاد بين من يريدون استقطاب أفكار جديدة حتى وإن كانت قاتلة، والفكرة الميتة في تصوره هي فكرة خذلت أصولها وانحرفت عن نموذجها المثالي ولم تعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي.

كما يؤكد أن الفكرة الواحدة قد تتباين فعاليتها الاجتماعية في المجتمع الواحد عبر مرحلتين مختلفتين، مؤكدا أن الفكرة الفعالة ليست صادقة ذاتيا بالضرورة لأن صدق الفكرة أو بطلانها يتجليان في مجال العقيدة والمنطق والعلم والإجتماع، ولكن تاريخ كل منها لا يتوقف على خصائصه الذاتية، وإنما يتوقف على التحريك وعلى قوته وسلطانه في وسط العالم الثقافي، وظاهرة الأفكار الميتة وما تلعبه من دور سلبي تستوجب الكشف على مواطن المرض في الثقافة حتى نبعد هذه الأفكار الميتة عن العمل، وذلك يتطلب بدوره نظرة موضوعية شاملة لمختلف القضايا الفكرية والإجتماعية، أما الأفكار القاتلة فهي قضية اقتباس أفكار من حضارة مجتمع آخر ومحاولة غرسها بدل الأفكار الميتة، ومشكلة النقل القاتل تعاني منها جل الحركات التغييرية، ولكل من ظاهرتي الأفكار الميتة والأفكار القاتلة في حياة المجتمعات أدوارا معطلة لحركة التغير الإجتماعي، وآثارا سلبية على النمو المعنوي والمادي.

يرجع مالك بن نبي عملية الاقتباس القاتل إلى مشكلة تربوية تعود إلى أن «موقفنا من مشكلة الثقافة ليس صحيحا، لا من الناحية الفكرية ولا من الناحية الإجتماعية، وعلى هذا الأساس فإن تصفية الأفكار الميتة وتنقية الأفكار المميتة تعتبر ان الأساس لأي نهضة حقة، وهذا بدوره يتطلب التميز بنين صحة الفكرة

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1
ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

وصلاحيتها، الشيء الذي يستوجب الانطلاق وفق أن كل ما يناط بمفهوم التغير الاجتماعي يجب أن نتوخى فيه أمرا، ألا وهو أن كل فكرة لها جانبان، جانب الصحة وجانب الصلاحية، وقد خلص مالك بن نبي من هذا كله إلى ضرورة التمييز بين الأفكار وتفحصها عند عملية النقل ومراعاة الوسط الذي يستوعبها مع الأخذ في الاعتبار قيم وثقافة المجتمع المنقولة منه والمجتمع المنقولة إليه.

5- الأفكار والمجتمع في علاقتهما بالتغير الإجتماعي:

اختلفت اتجاهات الدارسين ووجهات نظرهم في تفسيرهم لمعنى المجتمع فهناك من نظر إلى المجتمع على أنه مستقل عن الفرد، وأن الفرد سابق له، وهناك من نظر إليه على أنه سابق في وجوده عن الفرد، وأنه كيان قائم بذاته، في حين هناك من نظر إليه على «أنه اجتماع الأفراد الذين يتابعون فيما بينهم، وفق نظام يحدد علاقاتهم لتحقيق أهداف محددة، أما مالك بن نبي فيعرف المجتمع على أنه الجماعة الإنسانية التي تتطور ابتداء من نقطة يطلق عليها مصطلح «ميلاد» كحدث يسجل ظهور شكل من أشكال الحياة المشتركة.

كما يسجل نقطة انطلاق لحركة التغير التي تتعرض لها الحياة، ويظهر هذا الشكل في صورة نظام جديد للعلاقات بين أفراد جماعة معينة. وليس من الدقة أن نسمي أي تجمع مجتمعا لا بد من تواجد لفكرة يجتمع عليها الافراد تبرر اجتماعهم وتسجل نقطة الميلاد الإجتماعي، وبدون هذه الفكرة تفقد العلاقات قيمتها ويفقد المجتمع قيمته في بيان الفرد وتحقيق الجماعة، هذا إضافة إلى أن الحركة شرط يجب توافره لتطور المجتمع عند بن نبي والحركة مصدرها شبكة العلاقات الاجتماعية في أي ظرف من الظروف وفي أي مكان عن التعبير المرئي عن هذه العلاقات في مجال النشاط الاجتماعي.

و للأفكار أهمية كبيرة في حياة المجتمع أو الجماعة لا يمكنها التحرك دون توجيه من الأفكار لأن هذه الأخيرة هي التي تحدد التدابير والحلول المرتقبة «لذلك يرى (بن نبي) أن المجتمع في حياته وحركته ذو علاقة وظيفية بنظام الأفكار، وكما

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1
ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

سبقت الإشارة فإن الأفكار تؤثر في المجتمع إما كعوامل نهوض، وإما كعوامل تعوق التحرك والنمو بحسب نوعيتها،والطرق التربوية المعتمدة في تنفيذها، والمجتمع يمر بالمراحل الثلاث ذاتها التي يمر بها الفرد في تطوره، أي مرحلة الأشياء والأشخاص والأفكار،وتعمل هذه العوالم الثلاثة في توافق طبقا النماذج عالمي الأفكار والأشياء، لكن ذلك ليس كافيا، وإذ يجب أن تكون هناك وحدة تربط هذه العوالم الثلاثة فيما بينها من أجل عمل مشترك.

هذه الوحدة هي ما أطلق عليه (بن نبي) مجموع العلاقات الاجتماعية والتي تتحقق وفق ما يتماشى مع ظروف المجتمع وقدراته وأهدافه، ومن خلال تفاعل الأفكار مع الواقع الاجتماعي والطبيعي،وتفاعل المجتمع مع طبيعة الأفكار السائدة تنتج معادلة جديدة هي المؤشر على نجاح عملية التغيير ونجاح المجتمع، «وهذه المعادلة هي المقياس لتوافق الأفكار والأشياء والأشخاص، إنها معادلة العلاقات الإجتماعية، أو الصيغة الجديدة التي كانت ثمرة الانسجام بين العوالم الثلاثة، وهي دليل على السير في طريق صنع الحضارة.

-خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه يتضح لنا أن نظرة مالك بننبي لعملية التغيير الاجتماعي كانت نظرة خاصة ومتميزة ركز فيها على عنصري الحركة والفعالية في الفكرة وتأثيراتها في إطار الحركة التي تتطلبها عملية التغيير الاجتماعي، والاهتمام الكبير الذي أولاه مالك ابن نبي للفرد جعله يؤكد على أهمية توجيهه وفق ما تتطلبه حركة التغيير الاجتماعي المختلفة في المجتمع تؤثر في شخصية الفرد، وبالتالي في سلوكه وفق المرحلة الحضارية التي يمر بها مجتمعه، دون أن يغفل عن عنصر الإرادة في التغيير الذي يجعل الفرد محددا لسلوكياته ومسؤولا عن أفعاله.

ولأن الفرد هو أساس كل تغيير اجتماعي يحدث في المجتمع فإن هذا أمر يتطلب العمل على تغيير الإنسان لأنه نقطة التحول الحقيقي، ومن الضروري الكشف عن الأسباب المعرقلة للتغير الاجتماعي، وهذه بالدرجة الأولى مهمة توكل إلى رجال الثقافة

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1
ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

والعلم الذين يعملون على تغيير الظروف السلوكيات التي تتنافى مع وتيرة التغير في المجتمع عن طريق توجيه الفرد وتنمية ما لديه من ملكات وقدرات، وذلك بصورة تجعله يدرك أن حفظ كيان المجتمع وثقافته أمرا أساسيا في كل عمليات التغيير المستهدف تحقيقها بنجاح، وعلى كل يمكن القول إن الفرد هو أساس كل تغير اجتماعي يحدث في المجتمع، وتغيير الفرد يعد نقطة التحول الحقيقي وذلك يغرس في نفسه إرادة التغيير، لأن هذه الأخيرة عامل أساسي يجعل هذا الفرد مسؤولا عن أفعاله وسلوكياته في إطار المجتمع، كما أن المحافظة على ثقافة المجتمع عامل أساسي في تحقيق التغير الاجتماعي المرغوب.

قائمة المراجع:

1. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة من أجل التغيير، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2002.
2. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1974.
3. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1981.
4. محمد عمارة، الاسلام وضرورة التغيير، مطبعة حكومة الكويت، 1977.
5. محمد عمارة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم علي، دار الفكر، دمشق، 1981.
6. بن إبراهيم الطيب، مالك بن نبي وبن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، الطبعة الأولى، دار مدني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
7. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام حركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، 1988.
8. عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، مكتبة بن مرابط، الجزائر،2014.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x

تاريخ الارسال : 26 /2019/02، تاريخ القبول: 2019/02/27، تاريخ النشر: 2019/06/04

9. محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، المكتبة الأنجلو مصرية، 1978.

10. محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية الاصول الثقافية للتربية، مكتبة الأنجلو مصرية،1973.

11. محمد السويدي، مفاهيم في علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1975.

12. محمد أحمد الزغبي، التغير الاجتماعي البرجوازي وعلم الاجتماع الإشتراكي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1984.

13. محمد البهي، الدين والحضارة، مكتبتة الشركة الجزائرية، 1999

14. أنور الجندي، الفكر والثقافة والمعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

15. آمنة شيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1975.